سلسلة الزواج 5 [اَلْمُعَاشَرَةُ بِالْمَعْرُوفِ بَيْنَ الْأَزْوَاجِ] الجمعة الخامسة.....

اَلْخُطْبَةُ الْأُولَى:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَنَى الْعَلَاقَةَ الزَّوْجِيَّةَ عَلَى السَّكِينَةِ وَالْـمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ، وَجَعَلَ مِنْ أَسْبَابِ اسْتِدَامَتِهَا الْإِيمَانَ وَالْعَدْلَ وَالْـمُعَاشَرَةَ الْحَسَنَةَ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى، وَنَشْكُرُهُ عَلَى آلائِهِ الَّتِي لَا تُسْتَقْصَى، وَنَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اِنْفَرَدَ بِالصَّمَدِيَّةِ وَالْكِبْرِيَاءِ أَزَلًا وَأَبَدًا، فَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِهِ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَكْرَمُ النَّاسِ وَلَدًا وَزَوْجًا وَأَباً، وَأَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَعِشْرَةً وَأَدَباً، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ سَلَكَ نَهْجَهُ وَاتَّبَعَ صِرَاطَهُ الْـمُسْتَقِيمَ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْـمُؤْمِنُونَ

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْـمَعْرُوفِ﴾؛ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ يَأْمُرُ الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا الْأَزْوَاجَ بِمُعَاشَرَةِ أَزْوَاجِهِمْ بِـ(الْـمَعْرُوفِ)؛ وَ(الْـمَعْرُوفُ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ هُوَ مَا يُسْتَحْسَنُ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ؛ وَقَدْ وَرَدَتْ كَلِمَةُ (الْـمَعْرُوفِ) فِي حَدِيثِ الْقُرْآنِ عَنِ الْأُسْرَةِ فِي أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَوْضِعًا؛ مِمَّا يُعْطِيهَا أَهَمِّيَّةً كُبْرَى، وَتُعْتَبَرُ الْـمَوَدَّةُ وَالرَّحْمَةُ فِيهَا وَاجِبًا شَرْعِيًّا، يَجِبُ الِاتِّصَافُ بِهِ وَإِشَاعَتُهُ فِي الْحَيَاةِ الْأُسَرِيَّةِ؛ مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ السَّعَادَةِ وَالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ.

فَقَدْ وَرَدَتْ كَلِمَةُ (الْـمَعْرُوفِ) فِي الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْـمَعْرُوفِ﴾؛ فَتَكُونُ الْحُقُوقُ وَالْوَاجِبَاتُ بَيْنَهُمَا وَفْقَ الْأَعْرَافِ وَالتَّقَالِيدِ الصَّحِيحَةِ، وَذَكَرَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (الْـمَعْرُوفَ) فِي النَّفَقَةِ وَالصَّدَاقِ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْـمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْـمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْـمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْـمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْـمُحْسِنِينَ﴾؛ حَيْثُ أَوْصَى أَنَّ النَّفَقَةَ وَالصَّدَاقَ يَكُونَانِ بِحَسَبِ حَالِ الْـمُنْفِقِ، وَأَلَّا يُكَلَّفَ الْإِنْسَانُ فَوْقَ طَاقَتِهِ الْـمَادِّيَّةِ؛ تَيْسِيرًا لِلْحَيَاةِ وَتَرْشِيدًا لِكُلْفَتِهَا؛ حِرْصًا عَلَى سَلَامَةِ الْـمَعَانِي الْأُسَرِيَّةِ وَقِيَمِهَا وَالْغَايَاتِ الَّتِي تَنْشُدُهَا.

إِنَّ الْأَمْرَ بِـ(الْـمَعْرُوفِ) فِي الْأُسْرَةِ أَمْرٌ بِالْـمُعَامَلَةِ الطَّيِّبَةِ، وَالِاحْتِرَامِ، وَالْبِرِّ، وَالْفَضْلِ، وَالتَّكَامُلِ، وَالْـمَحَبَّةِ، وَالْـمَوَدَّةِ، أَمْرٌ بِالتَّقْدِيرِ وَالْـمُعَاشَرَةِ بِالْحُسْنَى؛ وَهَذِهِ الْقِيَمُ فِي الْأُسْرَةِ أَسَاسُ التَّمَاسُكِ وَالتَّسَاكُنِ بَيْنَ أَفْرَادِهَا، وَهِيَ الْغَايَةُ مِنْ وُجُودِهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ اَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

عِبَادَ اللَّهِ؛ إِنَّ بِنَاءَ الْأُسْرَةِ عَلَى قِيَمِ الدِّينِ، هُوَ الَّذِي يُؤَصِّلُ أَخْلَاقَ الْـمَوَدَّةِ وَالْـمَعْرُوفِ فِيهَا؛ مِنْ خِلَالِ الِاعْتِرَافِ بِالْفَضْلِ بَيْنَ الْأَزْوَاجِ، وَحِفْظِ الْأَسْرَارِ الزَّوْجِيَّةِ، وَقَوْلِ الْخَيْرِ، وَحِفْظِ اللِّسَانِ؛ فَإِذَا كَانَتْ وَصِيَّةُ اللَّهُ تَعَالَى لِلنَّاسِ بِقَوْلِ الْخَيْرِ؛ ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، فَهِيَ أَوْجَبُ فِي حَقِّ الْأُسْرَةِ، وَهِيَ أَبْرَزُ وَأَجَلُّ مَظَاهِرِ الْـمَعْرُوفِ؛ وَالَّتِي تَظْهَرُ فِي مُنَادَاةِ الزَّوْجَيْنِ عَلَى بَعْضِهِمَا، وَطَلَبِ الْحَاجَةِ وَالْـمُحَاوَرَةِ وَالْحَدِيثِ؛ وَخَاصَّةً عِنْدَ الْخِلَافِ؛ وَلَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِأُمِّ الْـمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (يَا عَائِشُ)؛ وَهُوَ مَا يَدُلُّ عَلَى حُسْنِ الْـمُعَاشَرَةِ مِنْ سَيِّدِ الْخَلْقِ لِأُمِّ الْـمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَقَدْ صَحَّ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي).

عِبَادَ اللَّهِ؛ بَعْدَ أَدَاءِ الْحُقُوقِ وَالْقِيَامِ بِالْوَاجِبَاتِ، فَإِنَّ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ تُشْعِرُ بِالرِّضَى فِي الْقُلُوبِ، وَتُحْدِثُ فِي النُّفُوسِ مِنَ الصَّفَاءِ وَالْـمَوَدَّةِ مَا يَجْعَلُ الْأُسْرَةَ قَادِرَةً عَلَى الصَّبْرِ عِنْدَ الْـمِحَنِ، مُسْتَشْعِرَةً مَعَانِيَ التَّضْحِيَةِ الَّتِي تُؤَهِّلُهَا لِتَعِيشَ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ.

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالْقُرْآنِ الْـمُبِينِ، وَبِحَدِيثِ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَـمِينَ.

اَلْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّهِ وَعَبْدِهِ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

عِبَادَ اللَّهِ؛ إِنَّ الْـمُعَاشَرَةَ بِالْـمَعْرُوفِ بَيْنَ الْأَزْوَاجِ تَعْنِي كُلَّ أَنْوَاعِ الْـمُكَارَمَةِ؛ بَدْءًا بِالْـمَحَبَّةِ وَالرَّحْمَةِ، إِلَى الْـمُشَاوَرَةِ وَتَبَادُلِ الْآرَاءِ فِي أُمُورِ الْبَيْتِ وَالْأَوْلَادِ؛ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاتَمِرُواْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾، وَمِنَ الْـمُعَاشَرَةِ بِالْـمَعْرُوفِ كَذَلِكَ؛ أَنْ يُحِبَّ كُلُّ طَرَفٍ أَقَارِبَ الطَّرَفِ الْآخَرِ؛ فَهُوَ أَسْمَى أَوْجُهِ الْـمُعَاشَرَةِ بِالْـمَعْرُوفِ، وَمِنْهُ الِاسْتِمَاعُ إِلَى هُمُومِ الطَّرَفِ الْآخَرِ وَاحْتِرَامُ مَشَاعِرِهِ وَالرِّفْقُ بِهِ؛ لَا سِيَّمَا فِي أَزَمَاتِهِ النَّفْسِيَّةِ، وَعَدَمُ إِلْقَاءِ الْـمَلَامَةِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ فِي حَالَةِ التَّعَبِ، وَإِنَّمَا تَجِبُ مُرَاعَاةُ ذَلِكَ امْتِثَالًا لِقَوْلِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾؛ وَأَهَمُّ مَا يُؤَهِّلُ لِلْمُعَاشَرَةِ بِالْـمَعْرُوفِ؛ اَلْإِيمَانُ بِاللَّهِ تَعَالَى؛ إِذْ هُوَ الرَّكِيزَةُ الْكُبْرَى الَّتِي تَنْبَنِي عَلَيْهَا الْعَلَاقَةُ الزَّوْجِيَّةُ.

وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَّا بِالْإِنْصَافِ مِنَ النَّفْسِ؛ وَالْـمُرَادُ بِذَلِكَ هُنَا تَبَادُلُ الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، لَا أَنْ يَحْرِصَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى حَقِّهِ مَعَ التَّفْرِيطِ فِي وَاجِبِهِ، وَلَا أَنْ تَكُونَ عَيْنُهُ عَلَى مَا يَسْتَحِقُّ، وَيَنْسَى مَا هُوَ وَاجِبٌ عَلَيْهِ، فَذَلِكَ إِنْكَارٌ وَجُحُودٌ؛ بَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَمُّ الْوَاجِبِ فِي قَلْبِ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ أَكْثَرَ مِنَ الِاهْتِمَامِ بِحَقِّهِ؛ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْـمَعْرُوفِ﴾؛ وَهَكَذَا تَكُونُ الْـمُعَاشَرَةُ

بِالْـمَعْرُوفِ أَصْلًا فِي اجْتِمَاعِ الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ؛ لِتَسْرِيَ فِي الْأُسْرَةِ كُلِّهَا؛ كَمَا سَنَرَى فِي الْخُطْبَةِ الْـمُقْبِلَةِ بِحَوْلِ اللَّهِ.

أَلَا فَاتَّقُواْ اللَّهَ – عِبَادَ اللَّهِ -، وَأَدُّواْ حَقَّ الْأَزْوَاجِ وَالزَّوْجَاتِ بِالْـمَعْرُوفِ، وَأَكْثِرُواْ مِنَ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ أَكْرَمِهِمْ لِأَهْلِهِ، وَأَحْسَنِهِمْ خُلُقًا مَعَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، عَدَدَ خَلْقِكَ وَرِضَى نَفْسِكَ وَزِنَةَ عَرْشِكَ وَمِدَادَ كَلِمَاتِكَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ الْـمَهْدِيِّينَ؛ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ بَاقِي الصَّحَابَةِ مِنَ الْـمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ وَاقْتَفَى أَثَرَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَانْصُرِ اللَّهُمَّ مَنْ وَلَّيْتَهُ أَمْرَ عِبَادِكَ، وَبَسَطْتَّ يَدَهُ فِي أَرْضِكَ وَبِلَادِكَ؛ وَلِيَّ أمْرِنا خَادمَ الحَرمِينِ الشريفين نَصْرًا عَزِيزًا تُعِزُّ بِهِ الدِّينَ، وَتَرْفَعُ بِهِ رَايَةَ الْإِسْلَامِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، اَللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، وَاحْفَظْهُ بِسِرِّ كِتَابِكَ وَأَلْطَافِكَ الْخَفِيَّةِ، وَأَقِرَّ عَيْنَه بِوَلِيِّ عَهْدِهِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ مُجِيبٌ، اَللَّهُمَّ جَمِّلْنَا بِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، وَجَنِّبْنَا سَيِّئَهَا، رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ، وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ أَئِمَّةً مُهْتَدِينَ، غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ، اَللَّهُمَّ ارْحَمْنَا وَارْحَمْ آبَاءَنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَسَائِرَ مَوْتَانَا وَمَوْتَى الْـمُسْلِمِينَ، رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْـمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَـمِينَ.